



## الحوزات العلمية لدى المسلمين الشيعة

پدیدآورده (ها) : البهادلی، علی

ادیان، مذاهب و عرفان :: العرفان :: خرداد 1375 - شماره 803 و 804  
از 122 تا 126

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/235138>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 25/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتال که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه **قوانین و مقررات** استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

## الحوزات العلمية لدى المسلمين الشيعة

بقلم: الأستاذ علي البهادلي

### لمحة عن تاريخ إنشاء الحوزات العلمية

#### مصطلح الحوزة

حتى يتمكن الباحث من أن يتحدّث عن تاريخ إنشاء الحوزات العلمية، يحسن به أن يقف مع القارئ الكريم عند مصطلح (الحوزة) ويقف عند دلالاته. فعلى الرغم من كثرة استعمال مصطلح (الحوزة)، إلا أن الكثيرين يمتنعون من استعمال هذا المصطلح يشاركوني الرغبة في ضرورة توضيح (الحوزة) في ما تدل عليه من دلالة لغوية، أو اصطلاحية ليمهد بذلك للحديث عن النشأة.

ان (الحوزة) من حيث جذر الكلمة اللغوي مشتقة من الفعل حازَ، وحازَ الشيء حَوْزاً واحتيازاً ضَمّه وجمعه، وعلى ذلك: فالحوزة بالمعنى اللغوي العام هي: الناحية. ولذلك يقال: ان حوزة المملكة ما بين تخومها.

وهكذا فالحوزة هي المكان أو الناحية التي إذا ما خصّصت للدرس والتحصيل جاز أن تُسمى (حوزة علمية). وتبعاً للأصل اللغوي فان الحوزة يمكن أن تخصّص لمختلف أوجه النشاط الانساني، إلا أن الحوزة ارتبطت بلغة علماء الدين بتلقي العلم، حتى بات مفهوماً تلقائياً: أنّ الحوزة لا بدّ أن تكون علمية.

إنّها كيان علمي وبشري يؤهّل للاجتهد في علوم الشريعة الاسلامية ويتحمّل مسؤولية تبليغ الأمة وقيادتها.

من هنا فالحوزة كمصطلح ليست دخيلة على العربية، والحوزة تشترك في روحها وهدفها مع مدارس العالم الاسلامي، ومعاهده العلمية المنتشرة في غير بقعة من بقاع العمورة، فلا الحوزة كمصطلح دخيلة على اللغة العربية، ولا هي ككيان علمي بعيدة عما يألفه المسلمون في بلادهم من مدارس للتعليم الاسلامي ومعاهد.

**تاريخ إنشاء الحوزات:** إذا أردنا هنا بالحوزة المعنى التبليغي، بمعنى مكان تلقى العلم من قبل المتعلمين المسلمين؛ فان الحوزة بهذا المعنى إنما نشأت مع إشعاع فجر الاسلام حيث كان النبي الأمين محمد (ص)، وفي دار الأرقم بن عبد مناف يعلم المسلمين القرآن ويشرح لهم مفرداته، حتى اعتبرت دار الأرقم المكان الأول الذي تم فيه قراءة القرآن وتدارسه، بل أطلق بعض الباحثين من المؤرخين على دار الأرقم بن عبد مناف: «دار الاسلام الأولى».

ومن دار الأرقم انتقلت الدراسة إلى المسجد، ولكن لم يكن للمسجد أن يستمر في أداء هذا الدور. فمن ناحية ازداد عدد المتعلمين، بحيث عاد المسجد يضيق بهم، ومن ناحية أخرى فان بعض حلقات التدريس آنذاك قد شهدت بعض المناظرات الكلامية والجدل الطويل، تقديساً للمسجد عن أن يكون مكاناً للجدل الذي يقترن غالباً بالصراخ والانفعال. كان توجه المسلمين المعنيين لتخصيص مكان خاص بالدراسة أن يكون بيت الاستاذ، ويكون ضمن دار تخصص لذلك تقام مجاورة للمسجد، أطلق عليها: دار العلم، ومن ثم ليتطور الأمر - تدريجياً - فيأخذ لنفسه كياناً مميزاً مستقلاً، له خصائصه وسماته، ليخرج، أو لنقل لتخرج حلقات الدراسة عن مجرد كونها حلقات درس حول شخص فتصبح ظاهرة ثقافية وسياسية ذات أثر بالغ ان في المجتمع، أو في الأفراد، وفي شؤونهم العامة.

**الحوزات وقبور الأولياء:** لقد أقيمت أكثر المدارس الاسلامية قريباً من قبر أو مشهد، دون أن يختص هذا الأمر بمذهب من مذاهب المسلمين دون الآخر، وحتى تكون الصورة واضحة نذكر أن مدرسة في «سمرقند» أنشئت بجانب القبر المنسوب لقثم بن العباس ابن عم النبي (ص). أما قبر الفقيه الحنفي أبي خفص الكبير المتوفى سنة (٢١٧ هـ / ٨٣٢م) مدخل المذهب

الحنفي إلى بخارى فقد تحول إلى مدرسة كبيرة منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. أما قبر الفقيه الشافعي القفال الشاشي بطشقند فقد بنيت بصلقه مدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم وقد أصبحت مقراً للمفتي في تلك الديار، وفي بغداد بالعراق أقيمت مدرسة على قبر أبي حنيفة، وفي القاهرة أقيمت مدرسة على قبر الشافعي لا تزال عامرة البناء حتى هذه الأيام (١٤١٤ هـ / ١٩٩٥م).

ويفر الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧م) من بغداد إلى النجف الأشرف في القرن الهجري الرابع/ الحادي عشر الميلادي ليجاور مرقد علي بن أبي طالب (ع) ولينشئ في النجف ما عرف بـ (الحوزة العلمية) لتصير على يديه مدينة العلوم الاسلامية ومحطة المرجعية الامامية في العالم الاسلامي، يشد الرحال إليها علماء الدنيا، يغترفون المعرفة من مناهلها، وتفيض معارفهم فيها.

**قبور الأولياء.. لماذا؟** قد يثير القارئ الكريم تساؤلاً عن سبب إقامة المدارس أو الحوزات قريباً من قبور المعصومين والأولياء؟

وفي مجال الإجابة عن ذلك السؤال نذكر: أن السبب الأبرز في إقامة الحوزات العلمية قريباً من قبور المعصومين والأولياء ما يرافق وجود قبر معصوم أو ولي من زيارات الناس وترددهم إليه، وحسب الأوقاف على المرقد، وعلى المحتاجين المجاورين له، ولتمثل تلك الأمور - مجتمعة أو متفرقة - مردوداً إيجابياً لا يستهان به، لعله يتمثل - فيما يتمثل - بسهولة الاتصال بزوار تلك المرقد، ووعظهم، وارشادهم، وتوجيههم، ومن ثم لاستفادة المراكز العلمية المجاورة للمرقد وطلابها من أوقاف المرقد مما يعني وجود مورد مالي يدعم وجود واستمرارية هذه الحوزة العلمية أو تلك، ويساهم مثل ذلك المورد في مساعدة الطلاب والاساتذة على التفرغ لطلب العلم والاستمرار في تحصيله.

**وجود شخصية علمية:** وإذا كان مقام المعصوم أو الولي أحد أسباب قيام حوزة علمية، أو قل: أحد الأسباب المساعدة على قيام حوزة علمية، فإن لشخصية العالم الكبير الدور الأهم والأبرز الذي لا يمكن تجاهله في هذا

السياق، إذ أن من الممكن جداً أن يبرز هذا البلد أو ذلك مقترناً بوجود حوزة علمية فيه كنتيجة لتوطن أحد العلماء الكبار هناك. وفي تاريخ المدن العلمية، أو في تاريخ العلماء الكبار ما ينبىء عن ذلك. فالحوزة العلمية في النجف الأشرف إنما ازدهرت وصارت مهوى أفئدة طلاب العلم - بالإضافة لوجود مرقد الامام علي (ع) - بوجود العلماء الكبار، ولنا بوجود الشيخ الطوسي الذي ما أن وصل إليها من بغداد حتى التفت حوله كوكبة مباركة من طلاب العلم، ولكن ما أن انتقل إلى جوار ربه حتى كان نجم مدينة الحلة في العراق يسطع لوجود شخصية علمية كابن ادريس.

وازدهرت مدينة سامراء في العراق علمياً، وشهدت زواياها حركة علمية ناشطة نتيجة وجود الميرزا الشيرازي «صاحب فتوى التبنك الشهيرة». كما نجد في قيام حوزتين كبيرتين في مدينتي جزين وجباغ بجبل عامل في لبنان ما يؤكد ذلك. فمدينة جزين هي موطن الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي مؤلف الموسوعة الفقهية الشهيرة (اللمعة الدمشقية). وهو الذي ازدهرت في عهده الحركة العلمية في تلك المدينة حتى يقال: «انه أحصي في جنازة واحدة في عصر محمد بن مكي العاملي أربعمئة مجتهد». . . أما جباغ فازدهرت الحركة العلمية فيها بوجود الشيخ الشهيد الثاني، حتى ان جباغ وحوزتها صارتا مقصداً لطلاب العلوم الشرعية من المذاهب الاسلامية كافة. .

ومن كل الأمثلة المتقدمة يتضح أن أمر قيام حوزة ما وانشائها لا يتوقف على وجود مرقد، بل يتعدى ذلك ليكون وجود شخصية علمية كبيرة أحد أسباب قيام الحوزات العلمية.

### الحوزة الأولى: ما هي أول حوزة علمية أنشأها المسلمون الشيعة؟

ان هناك من يرى أن أول حوزة علمية هي حوزة (الكوفة) التي أنشأها الامام جعفر الصادق (ع) والتي كانت تضم - على ما يذكره المؤرخون - أربعة آلاف شيخ «كل يقول: حدثني جعفر بن محمد» ويستفاد من لفظة (حدثني) أن هؤلاء قد بلغوا من العلم مرحلة متقدمة حتى صاروا يحدثون الناس عما تلقوه من الامام الصادق (ع)، بمعنى اخر: انهم رواة حديث.

وإذا ما تصفحنا بعض الكتابات عن التعليم لدى الامامية وجدنا أن هناك

من يعيد الأمر إلى أبعد من ذلك، فيقول: ان أول تجمع حوزوي هو ذلك الذي رعاه الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، إذ تفرغ - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - لتعليم صحابته علوم الاسلام، وأعددهم إعداداً روحياً واجه من خلال هذا الإعداد والتوجيه حملات التشويه التي شهدها ذلك العصر، لا سيما بعد مقتل الامام الحسين (ع).

إن هذين الرأيين القائلين بأولوية حوزة الامام زين العابدين (ع)، أو أولوية حوزة الامام الصادق (ع) لا يمكن أن نعتمدهما في محاولتنا تحديد نقطة البدء في دراسة العلوم الشرعية حوزوياً، إذ ان أهم ما يميز الحوزة العلمية - أية حوزة - هو تأهيل الطالب لمرحلة الاجتهاد في علوم الشريعة الاسلامية، فيما تنتفي الحاجة إلى الاجتهاد مع وجود المعصوم نبياً كان أو اماماً. وعلى ذلك فعلى الباحث في نقطة البدء أن يبدأ بحثه بعد غيبة الامام محمد بن الحسن المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م، حيث سيجد أن بغداد عاصمة العراق شهدت أول تجمع حوزوي كبير على يد الشيخ أبي عبد محمد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى سنة (٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م) حيث أم مجلس درسه طلبة العلوم الدينية من كل أقطار المسلمين، بل لم يقتصر مجلس درسه على الطلبة من المسلمين الشيعة، وإنما كان الطلبة أيضاً من بقية المذاهب الاسلامية، ولتتطور هذه الظاهرة الدراسية وتنمو، وكيف لا تنمو ولا تتطور، والأمة في كل جيل بحاجة إلى من يجتهد في علوم الشريعة الاسلامية حتى لقد اعتبر (الاجتهاد) واجباً وجوباً شرعياً كفاثياً لا يسقط إلا إذا قام من به الكفاية.

علي الشيخ أحمد البهادلي